كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟

هل فكرت يومًا كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ ولماذا كان ﷺ يُكثر الصيام في شعبان؟ وما السر وراء تمييز هذا الشهر بين رجب ورمضان؟ هذه ليست مجرد عادة، بل استراتيجية روحية متكاملة تعكس فَهْمًا عميقًا لطبيعة الزمن وأهميته في إعداد النفس لاستقبال رمضان.

شعبان ليس مجرد جسر يربط بين شهرين عظيمين، بل هو فرصة ذهبية يغفل عنها كثيرون. ففيه تُرفع الأعمال إلى الله، ومن هنا كان النبي ﷺ يحرص على أن يُرفع عمله وهو صائم. كما أن العبادة في أوقات الغفلة لها فضل عظيم، لأنها تتطلب جهدًا نفسيًا أكبر وتكون أقرب إلى الإخلاص.

لكن الأهم من ذلك، أن صيام شعبان يُعَدّ تمرينًا عمليًا واستعدادًا نفسيًا وبدنيًا لشهر رمضان، حتى لا يدخل المسلم في الصيام فجأة، بل يكون قد تعود عليه وتهيأ له بقوة ونشاط.

فكيف يمكنك الاستفادة من دروس النبي ﷺ في هذا الشهر؟ ومعرفة كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ ابدأ بإحياء سنة الصيام، واستغل هذه الأيام في تلاوة القرآن والاستزادة من الطاعات، حتى يكون رمضان انطلاقة روحانية لا مثيل لها! وتابع هذا الجزء من مقال بعنوان "الطريق إلى رمضان" للكاتب محمود إسماعيل شل.

عندما تتفقد فهم الرسول ﷺ لطبيعة المرحلة التي قبل رمضان؛ فمن المؤكد أن الوضع سيختلف مع رجل في مثل تفكيره ومنطقه، وهذا تميز يضاف إلى شخصه ﷺ في كون أعماله دائمًا تتلمس فيها حسن التخطيط والتدبير، إضافة لنوع من التوازن الرائع بين متطلبات الروح والجسد دون أدنى إفراط أو تفريط. فكيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟

يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم

عن عائشة رضي الله عنها في مسألة كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ قالت: "كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان" رواه البخاري، وفي رواية لمسلم: "كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا"، وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي ﷺ لم يستكمل صيام شعبان ، وإنما كان يصوم أكثره.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، فقال: "ذاك شهر يغفل الناس فيه عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم".

ويشير ذكاء النبي ﷺ إلى كون شعبان بين شهرين عظيمين -الشهر الحرام وشهر الصيام- وأن الناس قد اشتغلت بهما عنه، فصار مغفولا عنه!! وهذا ما يتميز به الأذكياء عادة أن يفكروا كما يفكر الناس، لكن لا يغفلون ولا ينسون عندما ينسى الناس.

وفي كلامه ﷺ إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه.

كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟

وفي كلامه أيضًا دليل على استحباب عِمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون هي ساعة غفلة، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق؛ لأنه ذكْر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة، فلماذا رأى الرسول ﷺ إحياء الوقت المغفول عنه في شعبان بالطاعة ؟

- حتى يكون أخفى للعمل؛ لأن إخفاء النوافل وإسرارها أفضل، لا سيما الصيام فإنه سرّ بين العبد وربه؛ ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إذا أصبحتم صيامًا فأصبِحوا مدْهنين".

- لأن العمل الصالح في أوقات الغفلة أشق على النفوس، ومن أسباب أفضلية الأعمال مشقتها على النفوس؛ لأن العمل إذا كثر المشاركون فيه سهُل، وإذا كثرت الغفلات شق ذلك على المتيقظين لقوله ﷺ: "العبادة في الهرْج كالهجرة إلي".

سر صيام النبي ﷺ في شعبان

ولمعرفة كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ رأى بعض العلماء في سر كثرة صيامه ﷺ في شعبان بعض الحكم والأسباب، منها:

1 – أنه كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان، وكان النبي ﷺ إذا عمل بنافلة أثبتها وإذا فاتته قضاها.

2 – ولمعرفة كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ قيل إن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فكان يصوم لذلك. وكان إذا دخل شعبان وعليه بقية من صيام تطوع لم يصمه قضاه في شعبان حتى يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان -كما كان إذا فاته سنن الصلاة أو قيام الليل قضاه- فكانت عائشة حينئذ تغتنم قضاءه لنوافله فتقضي ما عليها من فرض رمضان حينئذ لفطرها فيه بالحيض، وكانت في غيره من الشهور مشتغلة بالنبي ﷺ.

3 – ولنعرف كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ خاصة بصوم شعبان، قيل "لأنه شهر يغفل الناس عنه"، وهذا هو الأرجح لحديث أسامة السالف الذكر والذي فيه: "ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان" رواه النسائي.

4 – وحتى ندرك كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ يجب القول أن صيام شعبان كالتمرين على صيام رمضان، لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرّن على الصيام واعتاده فيدخل رمضان بقوة ونشاط. ولما كان شعبان كالمقدّمة لرمضان فإنه يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من الصيام وقراءة القرآن والصدقة، كما قال سلمة بن سهيل: كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء، وكان عمرو بن قيس المُلائي إذا دخل شعبان أغلق تجارته وتفرغ لقراءة القرآن، وكان يقول: طوبى لمن أصلح نفسه قبل رمضان!!

وفي إطار الإجابة عن سؤال: كيف كان يستعد الرسول ﷺ لشهر رمضان ؟ هذا قول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريبًا من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه.

جزء من مقال : الطريق إلى رمضان من أرشيف إسلام أون لاين للكاتب محمود إسماعيل شل